منفعةً ان شآء الله تعالى والامور مرهونةٌ باوقاتها

وقبل ان نمسح القلم من هذا الفصل لا بد لنا من ذكر امرٍ فاجأتنا بهِ احدى المجلات الادبية بما لم نتوقعهُ ولعل ذكرهُ لا يخلو من فائدةٍ وتبصرة . وذلك ان بعض رصفآئنا الالبآء توهم اننا نريد من هذا البحث مناقشة اصحاب الجرائد فقام يردّ علينا ويتمحل الحجج والاعذار تصحيحاً لبعض ما نبهنا عليهِ من الاغلاط — ولعلهُ توخى منها ما كان قد اتفق لهُ السقوط فيهِ — فكدّ ذهنهُ واسهر جفنهُ في البحث وتقليب الصحف ثم جآءنا بامورٍ كانت ابلغ في الدلالة على ما اجتهد في التبرُّؤ منهُ وحاصلها تخريج بعض تلك الاوهام على بعض المذاهب الساقطة واحالة بعضها على بعض اللغات المتروكة وتوجيه بعضها على وجوهٍ من التأويل والمجاز مما نحن اعلم بهِ ومما هو بعيدٌ عن غرضنا بمراحل . وقد علم كل من اطلع على كلامنا من ذوي البصائر أنا اوردنا ما اوردناهُ من المآخذ بقصد التنبيه الى ما ينبغي اجتنابهُ فيما يُكتَب لا بقصد التخطئة لما قد كُتب ولو ذهبنا الى التخريج والاعتذار كما يريد هذا الاديب لما كتبنا في هذا المعنى حرفاً اذ قلما تجد تركيباً مخالفاً للصحة الا ولهُ وجهٌ يُردّ اليهِ ولو حملاً على بعض شواذ الكلام وحينئذٍ فعلى اللغة السلام . على ان التخريج انما يُنحى فيما يصدر عن قائلهِ سهواً او لضرورةٍ لا فيما يُرتكَب عن جهلٍ او في سعةٍ من اجتنابهِ ولا على ان يُجعَل قاعدةً يسوَّغ بها ركوب الشطط ثم تُتكلَّف لهُ الاعذار الباردة والحجج الواهنة وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والسلام على من اتَّبع الهدى

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

(تابع لما في الجزء السابق)

ومن قبيل التعاضد تكادُم الخيل وتلاحُس البقر المصابة بالاكلان او الحكَّة واشتراك القرود في نزع الحلميات من اجسامها واقتلاع الشوك من ارجلها . وذكر برَهْم انهُ عقيب مرور سرب من القرود في محل شائك يتمدد كل فردٍ منهُ على غصن ويأتي آخر فينزع الشوك منهُ . وبعض القرود اذا آنست غنيمةً تحت صخرٍ تحيط بهِ وتقلبهُ متعاضدةً وتشترك جميع افرادها بعدئذٍ في اقتسام ما تجدهُ من الحشرات . والجاموس الاميركي عند ما يشعر بالخطر يسوق اناثهُ وصغارهُ الى وسط القطيع وتدافع الذكور منهُ عن الجوانب . وروى ايضاً انهُ التقى في الحبشة بقطيع من القِرَدة فهرعت جميعها امام كلابهِ وتسورت اكمةً كانت امامها الا صغيراً منها كاد يذهب فريسةً للكلاب فاستنجد برفاقهِ فعادت شرذمةٌ منها فاغرةً افواهها وهاجمت الكلاب فدحرتها واستاقت مستغيثها الى الاكمة سالماً . فيرى مما تقدم انهُ لا ريب في تحابّ الحيوان وتعاضدهِ جرياً على مقتضى المرشد الادبي او الضمير . اما كونهُ يشترك في الاحزان فمسألة لم يقم عليها الى الآن دليل على انهُ قد رؤي ان البقر اذا مرت بميتٍ او محتضرٍ من نوعها وقفت من حولهِ تحملق اليهِ وتتأمل فيهِ ولكن ما من احدٍ يعلم ما يدور في خلدها اذ ذاك

والحيوانات تشفق بعضها على بعض مثل الانسان وكثيراً ما شوهد

بعض الغربان يطعم زاغاً اعمى ورأى بعضهم ابا حوصل على جزيرة ملح مقفرة وكان عاجزاً وسميناً مما يدل على انهُ كان عائشاً على الاحسان . بلى لا ينكر ان الحيوانات قد تطرد جرحاها من القطيع او توردها حتفها ولكن ذلك قد يكون تحوُّطاً كي لا تهتدي اليها الضواري فتطاردها وعلى فرض غير ذلك فعملها هذا ليس بافظع من المنكرات التي يقترفها هنود اميركا الشمالية الذين يتركون رفاقهم يهلكون في القفار او الفوجيون الذين يئدون والديهم اذا داهمهم المرض او ادركهم الهرم

وفضلاً عن المحبة والشفقة والميل الى التعاون والامانة الجلية الظهور في الكلاب فللحيوانات ادبياتٌ اخرى كثيرة ولبعضها مسيس بالضمير كأنفة بعض الكلاب من سرقة الطعام في غياب مواليها . ولما كانت الحيوانات في جهادٍ مستمرّ وحربٍ دائمة كانت الطاعة والامانة وبذل الرغائب الشخصية من لزوميات كل مجتمع منها للغلبة في الجهاد في سبيل الحياة او تنازع البقآء والا انتشر عقد شملها وآل تشتيتها الى الدمار . فالقرود في الحبشة عند ما تخرج للسطو على بستان تتبع قائدها بكل هدوءٍ وسكينة واذا زقا احد صغارها لطمهُ الذي بجانبهِ ليعلّمهُ السكوت عند الحاجة ويدرّبهُ على الطاعة . والحيوانات كالانسان تكتسب ملكاتٍ او غرائز بالعادة المستمرّة او بالارث او بانضمام سلائق وقوى اخرى من مثل الاختبار والتعاطف والميل الى المهاجرة وغير ذلك . وقد تتضارب هذه الغرائز فيتغلب بعضها على البعض الآخر كتغلب الميل الى المهاجرة على المحبة الوالدية كما يشاهد في السنونو التي اذا حان اوان المهاجرة تركت فراخها في العش وهاجرت

فيتضح مما تقدم ان الحيوانات تشترك مع الانسان في الحاسة الادبية التي ينكر بعضهم كونها فطريةً فيهِ بدليل ان بعض المتوحشين في استراليا لا توبخهم ضمائرهم على القتل فاذا ماتت زوجة احدهم لا يهدأ لهُ بال حتى يقتل امرأة من قبيلةٍ اخرى فديةً عن نفسها وكذلك هنود اميركا يفضلون قتل الغريب على الزواج بابنةٍ من ذوي قرباهم ويمدحون السارق على فعلهِ . وامثال ذلك كثيرة مما يدل على ان الضمير خاضع لناموس النشوء والارتقآء بطريق الارث والكسب كما يشاهد في كثيرٍ من الأُسَر المتمدنة التي تتوارث الميل الى السرقة أو الكذب فيصير هذا الميل شعار غالب افرادها ولو كانت من ذوي الثروة والتأدب

وخلاصة ما يستنتج مما تقدم ان المبدأ العقلي عامٌّ في جميع انواع الحيوان وان العجماوات منهُ تشترك في كل ما يفتخر بهِ الانسان من الحواس والبدائه والقوى المختلفة كالمحبة والذاكرة والانتباه وعزة النفس والتقليد والشفقة والانعطاف والتعاضد اما بالسليقة او بطريقة الكسب فسبحان من اعطى كل شيءٍ خلقهُ ثم هدى

عمدة الصفوة في حلّ القهوة

(تابع لما في الجزء السابق)

وفي سنة خمس واربعين بينما جماعةٌ في بيوت القهوة يستعملونها في شهر رمضان بعد العشآء وافاهم صاحب العَسَس اما من تلقآء نفسهِ او بامرٍ أُوحي اليهِ واخرجهم منها على هيئةٍ شنيعة بعضهم بالحديد وبعضهم مربوط